بسم الله الرحمن الرحيم

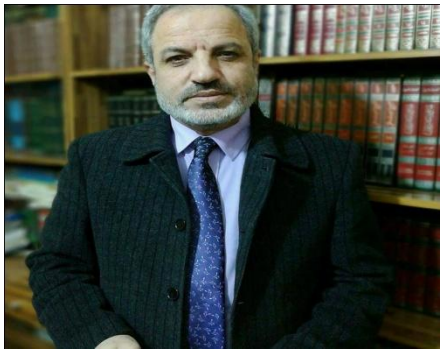

الأستاذ الدكتور رائف مُحَمَّد عبد العزيز النعيم

في رحاب خير الكلام لذوي الأفهام ..

الاختلاف ناموس الكون وسنة الحياة

وهو آية القدرة وإبداع الخالق

آيات القرآن الكريم التي تحدثنا عن مظاهر الكون المتعددة المتنوعة المختلفة، في جنسها وطبيعتها وآثارها، في كثير من سياقاتها يربطها الله ويقرنها، وهو الخالق الخبير، بالكلام عن الإنسان والناس وحياتهم وشؤون معاشهم وطبائعهم وما يعتريهم من تقلبات، وما يمر به الإنسان من أطوار ومراحل وأحوال، وما يفهمه حسب طريقة تفكيره، ونمط ثقافته، وأسلوب حياته..، وجماع ذلك كله مقدرته على التعقل والتمييز، بالتدبر أو على العناد والهوى بتحكم الغرائز فيه واتباع الشهوات.

ومقصد ذلك كله أن يبين لنا الخالق أن الناس كمظاهر الكون في أصل الاختلاف بين هاتيكم المظاهر كلها، بل أحيانا كثيرة يكون الخلاف في الظاهرة الواحدة نفسها، فالليل قصير في الصيف وما أطوله شتاء!، والشمس مشرقها شتاء غيره صيفا، والمطر أحيانا دافق منهمر وأحيانا سيل مدمر وأحيانا شحيح مقتر..، وهذا هو حال الإنسان الفرد مع نفسه؛ فهو بين يوم وآخر، بل بين ساعة وأخرى، هادىء وغضِب..، كريم جواد وبخِل..، وهكذا قل في

سائر الصفات؛ علما وجهلا، لينا وعنادا، حبا وكرها، شجاعة إقداما وجبناً و.. فكل هذا برهان وآية قاطعة على حمة الخالق وإبداع قدرته .

والقصد الكلي الجامع من تلكم السياقات القرآنية، هو أن الاختلاف قانون كوني، وحكم أزلي، أراده صانع الحياة وفاطر الإنسان.، لكنه ﷻ جعل فرقا جوهريا مائزا للإنسان عن مظاهر الكون، فهذه مسيرة بنواميس مجعولة فيها دون تعقل منها، وبلا إرادة لما يصدر عنها..، بينما الإنسان أودعه الخالق فطرة عاقلة تتدبر وتنظر، تحلل وتستنتج وتعلل، تحقق وتدقق وتؤصل..، ومن هنا يلتقي الإنسان بالإنسان وإن امتاز عنه في أفهام، ومسائل لا تنفي الأصول الجامعة والثابتة فطرة وعقلا..

وتلكم الأفهام والمسائل والآراء إنما هي وجوه للتعقل والتدبر، تقترب وتبتعد عن الصواب بنسبة ما، فلا مناص منها ولا محيد عن الاستماع إليها، ضمن مجموعة الأصول المحكومة بقيم الفطرة وبدائه العقل.

وخير ختام لذوي الأفهام قول الخالق العلام: (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالِمين. ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون. ومن آياته البرق خوفاً وطمعً وينزّل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون).